University of Zawia - Faculty of Arts Journal (UZFAJ)
Volume 24, Issue 1, (2024), pp. 367-396, ISSN: 2521-9235

The Psychological Motivations of Abu Firas Al-Hamdani Between his Ambition, his Life, and his Poetry: A literary Study in Light of Adler's Theory

Muslim Al-Rashidi

Department of General Sciences - College of Humanities and Sciences - Prince Sultan University
Riyadh - Saudi Arabia

EMAIL: Muslim.Al-Rashidi .su@gmail.com

Received: 01/06/2024 | Accepted: 29/08/2024 | Available online: 08/09/2024 | DOI: 10.26629/uzfaj.2024.21

ABSTRACT

This research deals with the poetry of Abu Firas Al-Hamdani in order to reach the motives and reasons that moved the poet's poetry and poured its spirit into his poems. The researcher tried to prove that the higher goals that Adler talked about in his theory are the main engine in moving his poetry and creativity, and from here the research came distributed in the introduction. In two sections, the first section talked about the psychological approach to literary criticism, Adler and his theory, and the signs of defects in the life of Abu Firas Al-Hamdani. The third section included a psychological reading of Abu Firas Al-Hamdani's poetry according to Adler's theory. The researcher concluded that what Abu Firas directed in his life influenced the formation of his personality, and that His Excellency's desire for leadership, leadership, and excellence is what moves him and his creativity.

Keywords: Alfred Adler, Abu Firas Al-Hamdani, the inferiority complex, the psychological approach, Saif al-Dawla, the Hamdanis.

Articles published in *Univ Zawia Faculty Arts J* are licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الدوافع النفسية عند أبي فراس الحمداني بين طموحه وحياته وشعره
دراسة أدبية في ضوء نظرية آدلر

مسلم الرشيدي

قسم العلوم العامة –كلية الإنسانيات والعلوم –جامعة الأمير سلطان
الرياض – السعودية
EMAIL: Muslim.Al-Rashidi.su@gmail.com

تاريخ الاستلام:2024/01/06 **تاريخ القبول:2024/08/29** **تاريخ النشر: 2024/09/08م**

ملخَّص البحث:

يتناول هذا البحث شعر أبي فراس الحمداني للوصول إلى الدوافع والأسباب التي بسببها حركت شاعرية الشاعر، وسكبت روحها في قصائده، وقد حاولت إثبات أن الأهداف العليا التي تحدث عنها آدلر في نظريته هي المحرك الأساس في تحريك شاعريته وإبداعه، ومن هنا جاء البحث موزعا في مقدمة وفصلين تحدث في الفصل الأول عن المنهج النفسي في النقد الأدبي، وعن آدلر ونظريته، وعن علامات الخلل في حياة أبي فراس الحمداني، وجاء الفصل الثاني قراءة نفسية لشعر أبي فراس الحمداني وفق نظرية دلر، وتوصلت إلى أن ما وجهه أبو فراس في حياته قد أثر في تشكل شخصيته، وأن طلب المعالي: الرئاسة والقيادة والتفوق هي ما تحركه وتحرك إبداعه.

الكلمات المفتاحية: ألفرد آدلر، أبو فراس الحمداني، مركب النقص، المنهج النفسي، سيف الدولة، الحمدانيون.

مقدمة:

أبلى المنهج النفسي في النقد الأدبي البلاء الحسن في مقاربة كثير من الأعمال الأدبية، وحقق نتائج مقنعة في تطبيقه مع الأعمال الأدبية، وشجع ذلك كثيرا من النقاد على استخدامه في النقد الأدبي، فطبقوا كثيرا من نظرياته من أجل مقاربة النصوص الأدبية، كنظرية اللاشعور وعقدة أوديب، وعقدة إلكترا، وعقدة النقص، وغيرها، وعدّ النقاد الذين استخدموا نظريات التحليل النفسي في نقدهم للأعمال الأدبية والفنية أن الكاتب في كتاباته يحاول التخلص من عقده النفسية وما يكبته في اللاشعور بممارسة نوع من الإسقاط في أعماله.

ووجد كثيرٌ من النقاد العرب في هذا المنهج ما يفيدهم، فوظفوه لمقاربة النصوص من خلال تحليل نفسيات الكتاب وشخصياتهم بالاعتماد على دراسة حياتهم وربطها ربطا وثيقا بنفسية من أنتجها، ونذكر من هؤلاء العقاد الذي ارتكز في دراسته للعقاد على التحليل النفسي في فهم نفسية أبي نواس في كتابه: "أبو نواس الحسن بن هانئ" وحسن المودن في كتابه "لا وعي النص في روايات الطيب صالح، قراءة من

منظور التحليل النفسي"، ومحمد النويهي في كتابه "ثقافة الناقد الأدبي شخصية ابن الرومي من أجل رسم ملامحه السيكولوجية"، وعز الدين إسماعيل في كتابه "التحليل النفسي للأدب".

وعند تصفح ديوان أبي فراس الحمداني برزت عندي نفسية أبي فراس الحمداني الطامحة الواثقة المفاخرة بذاتها، وبنسبها، الغاضبة الحزينة اليائسة، ولم يجد أحدا – على حد علمي– من الباحثين تطرق إلى تلك الدوافع من منظور الأهداف العليا التي يطمح الشاعر إلى تحقيقها وأن الدراسات النفسية التي تناولت شعر أبي فراس هي دراسات قليلة إذ لم يدرس نفسية أبو فراس الحمداني إلا: حنان السيد في دراستها "النفسية الساخطة في روميات أبي فراس الحمداني"، وأبوليوس في دراسته "تجليات الحرب النفسية في حروب العرب ضد الروم في شعر أبي فراس الحمداني"، ومحمد حسن أمرابي، وجبانكير أميري في دراستهما "تداعيات إثبات الذات، والنرجسية في شخصية أبي فراس الحمداني، ورمياته، في ضوء نظرية كوهين" فرأيت أن أكتشف الدوافع الحقيقة وراء هذا الإبداع الشعري ووراء هذه الروح الشعرية القوية الواثقة الطامحة، ورأيت في شخصية أبي فراس ما يؤكد نظرية آدلر أن الأهداف هي التي تحرك الأفراد وتحثهم على الإبداع والتفوق فقررت أن أدرس شعر أبي فراس وفق نظرية آدلر في علم النفس الفردي، وأرى أن لكل فرد منا شخصيته الخاصة التي لا يمكن تغييرها، وأنه ليس للماضي تلك السلطة المطلقة على حاضرنا وإنما المحفزات والتطلع للمستقبل هي ما يحدد شخصيتنا لا الماضي، وأننا مُساقون من قبل أهدافنا وغاياتنا وتطلعنا للمثالية، فكل عمل نقوم به له غاية في أنفسنا، والهدف منه تحسين مستقبلنا، فاستخدم مصطلح الغائية الذي قصد به ارتباط العلة بالغاية، أي بشكل مبسط بعيدا عن الميتافيزيقا فإن لكل شيء سبب لحدوثه وغاية.

واستخدم آدلر مفهوم الدونية، أو النقص، وقصد به أننا بشر ننشد الكمال، وأننا في سعي دؤوب نحو المثالية، ويرى أن سعينا في الحياة مرتبط بشعورنا بالنقص وهو الشعور المحفز لنظل في سعي دائم نحو الأفضل.

وتأتي أهمية البحث من أهمية الطرح فهي تتناول شعر أبي فراس الحمداني، ومن تفردها إذ لم يدرس أحد –على حد علمي– شعر أبي فراس وفق نظرية آدلر، وهي تطرح أسئلة كثيرة عن حياة أبي فراس الحمداني ومدى تأثيرها في شعره، وعن مدى ظهور سعي أبي فراس لتحقيق أهدافه في قصائده، وهل كان لطفولة أبي فراس وعلاقاته الاجتماعية أثر في شعره، واخترت المنهج النفسي للوصول إلى نتائج موثوقة لدراستي، وقد جاءت الدراسة في مقدمة وفصلين وخاتمة، جاءت مقدمة البحث وبيّنت فيها أهمية البحث وأسبابه والدراسات السابقة والنتائج والمنهج الذي اعتمدته في البحث، وأقسام البحث، وكان الفصل الأول في المنهج النفسي في النقد الأدبي، وفي آدلر ونظريته، وعلامات في حياة أبي فراس الحمداني، وجاء الفصل الثاني قراءة نفسية لشعر أبي فراس الحمداني وفق نظرية آدلر.

الفصل الأول: علامات وإشارات.

أولاً: المنهج النفسي في النقد الأدبي.

تصلح المناهج وتفيد في النقد الأدبي حين "تتخذ منارات ومعالم، ولكنها تفسد وتضر إذا جعلت قيودا وحدودا شأنها في هذا شأن المدارس في الأدب، فكل قالب محدود هو قيد للإبداع، وقد يصنع القالب لتضبط به النماذج المصنوعة، لا لتصب فيه النماذج وتصاغ." (قطب، 1990، ص226)

وإن كل منهج من مناهج النقد الأدبي هو في حقيقته حصيلة تجارب النقاد وممارستهم لعملية النقد خلال قرون طويلة، واستخدام هذه المناهج مفيد إذا نظرنا إليها على أنها أضواء كاشفة على طريق النقد لا قواعد وقوانين واجبة الاتباع.

ومن بين المناهج والنظم التي تقررت فائدتها للنقد الأدبي، تخطر العلوم الاجتماعية في الذهن أولا، فمن التحليل النفسي استعار النقاد الفروض الأساسية عن عمل اللاشعور، وكيف يعبر عن رغباته الكامنة بالتداعي وبعناقيد من الصور، كما استعاروا كيفية عمل الأحلام وما فيها من تعبير ملتو سيال مثل الخلط الكلامي والخلط المكاني والفصم.(هايمن، 1958، ص 12)

و" الأدب موضوعه الإنسان في ذاته وفي استجابته لما حوله، وهو بهذا شبيه بعلم النفس، ولكن ثمة فرق جوهري بينهما هو أن علم النفس يتناول الظواهر العامة، أما الأدب فهدفه الأول إدراك العنصر الفردي المميز لكل إنسان عن أخيه"

ومن المفيد أن نذكر أن علماء التحليل النفسي لم يقصدوا أولا إلى إيجاد المنهج النفسي، وأما الذين قصدوا إلى إيجاد هذا المنهج، فهم فريق من نقاد الأدب الذين أرادوا أن ينتفعوا بما كشفته الدراسات الفنية وبخاصة في ميدان التحليل النفسي. (قطب، سيد، المصدر السابق، ص 189) ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن الاتجاه النفسي في بحث الأدب قديم قدم الإغريق إذ نرى أفلاطون يقول: إن الشاعر ينظم شعره عن إلهام وحال تشبه حال الجنون، فهو لا يصدر في شعره عن عقله، وبذلك فإن أفلاطون هو أول من تحدث عن إبداع الشاعر وأول من وصمه بأنه مشلول العقل، ولم يتشدد أرسطو تشدد افلاطون، وإنما اقتبس منه أفكاره، وخفف من حدتها ليتحدث عن فكرة التطهير (ضيف، المصدر السابق، ص105). وفرق كولردج سنة817م بين العلم والشعر ورأى أن الشاعر يصب عنايته على محاولة معرفة سر الوجود عن طريق ملكته الخيالية التي تعيد خلق الواقع مازجة بينه وبين العواطف والانفعالات النفسية، وربط كولردج بين الحلم والشعر، وتنبه إلى نظرية اللاوعي حين تحدث عن تأملات غير منضبطة عند الشعراء تجتاز بهم حدود العقل الواعي. (ضيف، ص106)

ونستطيع أن نقول إن المنهج النفسي بدأ بدءً علميا بالمعنى الكامل للكلمة حين نشر فرويد سنة 1899م كتابه تفسير الأحلام (فرويد، 1986، ص5) "وكانت النقطة التي انطلق منها فرويد في هذا الصدد تتمثل في تمييزه بين الشعور واللاشعور، بين الوعي واللاوعي، بين مستويات الحياة الباطنية، واعتبار

اللاوعي أو اللاشعور، هو المخزن الخلفي غير الظاهر للشخصية الإنسانية، واعتباره متضمنا للعوالم الفعالة في السلوك، وفي الإبداع، وفي الانتاج"(فضل، 1997، ص64)، ورأى أن الأدب هو تنفيس عن رغبات مكبوتة في اللاشعور كبتت منذ عهد الطفولة، وأن وجه الحياة النفسية لأي فنان كوجه المحيط، يبدو الماء ساكنا على السطح، أما ما وراء السطح فالماء فيه مضطرب بتوترات انفعالية تشيع فيها عقد شتى كما تشيع ألوان من الكبت، والفن تعبير عن كل ذلك، تعبير مرضي يراد به إشباع ما لم يستطع الفنان تحقيقه في سنين عمره الأولى(شوقي ، المصدر السابق، ص107).

وكان فرويد أول من لفت الأنظار إلى أن الإنتاج الأدبي للأديب يقابل الإنتاج الحلمي للفرد، فهو يعد الروايات بأبطالها الخياليين "أحلاما لم تحلم"(السمرة، 1997، ص106) أي أنها قريبة الشبه بأحلام اليقظة "واعتبر فرويد الأدب والفن تعبيرا عن اللاوعي الفردي، ومجالا تظهر فيه تفاعلات الذات، وصراعاتها الداخلية، وذلك عندما حدد خصائص الحلم بمجموعة من الأوصاف، في مقدمتها التكثيف، والإزاحة، والرمز، بمعنى أن الحلم يعمد إلى الظواهر المبسوطة فيوجزها بإسقاط تفاصيلها الكثيرة، ويكثفها بطريقة بالغة، ثم يقوم بنقلها من مجال حسي إلى مجال حسي آخر، ويستخدم رموزا متعددة، وسرعان ما أدرك " فرويد" وتلاميذه أن هذه القوانين، هي التي تحكم مع طبيعة الأعمال الفنية والأدبية على وجه الخصوص(فضل، ص65)، وفي تفسير معنى التكثيف يقول عز الدين إسماعيل: "ففي الصورة الشعرية تتجمع عناصر متباعدة في المكان وفي الزمان غاية التباعد، ولكنها سرعان ما تأتلف في إطار شعوري واحد، وهذا هو وجه الشبه بين العمل الفني والحلم، ففي الحلم تتحطم الحدود المكانية والزمانية، وتصطدم الأشياء بعضها ببعض معبرة عن النزعات المصطرعة في نفس الشاعر، وعن الهواجس والمطامح ، وعن التفكير الذي تمليه الرغبة "(إسماعيل، 1988، ص108) أمّا الترميز فيقصد به فرويد إحالة المفردات المتكررة في الحلم أو النص الأدبي على دلالاتها الخاصة بتجربة الحالم أو الكاتب الصادرة عن لا وعيه، ويرفض فرويد التفسير المعمم للرموز في الأحلام الذي يسميه (منهج الشفرة) أو (المفتاح الثابت) وهو الذي يفسر الرمز المتكرر في الحلم بدلالة عامة ثابتة في جميع الأحلام لجميع الأفراد، ويرى أن الطبيعة المفككة المختلطة للحلم هي التي أدت إلى اختراع هذا المنهج(فرويد، د، ت، ص 128) وأمّا الإزاحة فيقصد بها فرويد عملية التشويه المقصود التي يلحقها الحالم بالحلم فيبدو مضطربا غامضا، ويرد هذا التشويه على عملية الرقابة الداخلية التي يمارسها الحالم على أحلامه"(فرويد، المصدر السابق، ص134) وهذا يعني أن الإزاحة هي إبدال موضوع الرغبة اللاوعية الممنوعة بأخرى مقبولة اجتماعيا وعرفيا(ماريني،1977، ص95) ورأى فرويد أن الأدب تعبير مقنّع، وأنه تحقيق لرغبات مكبوتة – قياسا على الأحلام – وأن هذه المقنعات تعمل حسب مبادئ معروفة، وأن هنالك مستويات ومدارج عقلية تقع وراء الوعي، وأن بين الرقيب والرغبة في التعبير صراعا مستمرا،(هايمن، 1958، ص 15) وأن كل أثر هو حصيلة سبب سيكولوجي، ويحتوي على مضمون ظاهر ومضمون مستتر، وأن إضفاء الحياة النفسية

للمؤلف ولدوافعه غالبا ما تكون بعيدة عن أن يعيها حين يكتب، وأن تحليل المضمون المستتر لأثر ما يحدده بدقة التحليل النفسي.(كارلوني وفيللو – د.ت، ص 119)

والنزعة النفسية في فهم الأدب العربي ونقده ليست نزعة قديمة وإنما هي نزعة غربية تسربت إلينا في العصر الحديث، والأدب العربي لم يعرفها من قبل،(عتيق، 1972، ص 297) وعلينا أن نفرق في ذلك بين **الملاحظة النفسية** التي نجدها بكثرة في كتب البلاغة العربية والدراسة القائمة على علم له قواعده وأصوله.(شلتاغ 1988، ص236)

وبحث بعض النقاد الذين اتبعوا المنهج النفسي عن العقد في العمل الأدبي: عقدة أوديب وعقدة ألكترا، والنرجسية، ومركب النقص وغيرها من العقد التي استمدها فرويد من أسماء شخصيات أدبية، فنحن ندين للتحليل النفسي الذي تجاوز كثيرا، في الوقت الحاضر، نظرية فرويد الذي قدم لنا مجموعة من المفاهيم الأساسية التي تستطيع وحدها أن تدرك العقدة، وتبرهن على فاعليتها في نطاق تفهم نظري للإنسان، حتى بالنسبة إلى الاتجاهات التي تبدو بعيدة عن التحليل النفسي،(كارلوني ، ص 118) فقد أهتم كثير من النقاد بالحالة النفسية للمؤلف، ولم يقف معظمهم على الدرجة التي توقف عليها فرويد وإنما صعدوا في تحليلاتهم على درجات من التحليل النفسي بناء على نظريات وفرضيات آمنوا بها، وأصبحت الدراسات النفسية لا تقتصر على الإبداع، ولا تتوقف عند بعض مظاهر النص، وإنما تشمل عمليات التلقي، وأصبح المنظور النفسي داخلا في التحليلات الأدبية، مستخدما بعض آليات التفكيك التي جاءت بعد البنيوية.

ويقر المنهج النفسي بأن "الجمال هو وسيلة الفنان لإثارة الانفعال في نفس المتلقي"(ويلبر ، د.ت، ص 98) ويسعى إلى تقصّي أثر البراعة الفنية التي تحدث الاستجابة الدائمة في المتلقي تجاه الشخوص الأدبية التي يبدعها الكاتب .

ورأيي أن القصيدة العربية، بوجه عام، يمكن توحيدها من داخلها؛ فهي منظومة متساوقة تساوقا ضروريا، ولا يمكن الكشف عن هذه الوحدة إلا بالتحليل النفسي الناظر إلى القصيدة على أنها إفراز لموقف داخلي شرطته جملة من الشروط، وأن تخارج محتويات اللاشعور هو واحد من القوانين المتحكمة بالصورة في الشعر والنثر في كل زمان ومكان.

والأعمال الأدبية والفنية العظيمة تشكل أسلوبا يلجأ إليه اللاوعي للتعبير عن نفسه تعبيرا رفيعا يشعر الكاتب بعد إنجازه بالارتياح والرضا، ولهذا فإنه لا مناص من التنقيب في أخبار الكاتب أو الفنان وسيرته وتاريخه وعلاقاته، وتطوره، بحثا عن أي إشارة يمكنها أن تلقي الضوء على المشكلات النفسية الكامنة في اللاوعي.

واستخدام علم النفس في فهم النص الأدبي ونقده له أنصاره المتحمسون، وإن كان هناك من يميل إلى الحذر في استخدامه ليبقى في حدوده المأمونة، وأن يكتفى به للمساعدة على توسيع الآفاق في النظر إلى

العمل الفني، ويعتقد هؤلاء أن الخطر في التوسع في استخدام ذلك العلم، وهو أن يستحيل النقد الأدبي تحليلًا نفسيا، وأن يختنق الأدب في هذا الجو.

ويرى إنريك أندرسون أنه من الخير لنا، بعد أن ثبت فشلنا في معرفة الإنسان معرفة تامة، أن نكون نقادا جيدين من أن نكون علماء نفس سيئين (أندرسون، 1991، ص 131) .

ولأن الحقيقة النفسية مقياس طبيعي ليس له وثوقية تامة، مثلها في ذلك مثل المطالبة بالواقعية الاجتماعية، فإن استخدام المنهج النفسي يجب أن يكون بعد دراسة واعية شاملة لحياة الأديب، فمن المؤكد في بعض الحالات أن البصيرة النفسية تبدو وكأنها تدعم قيم التركيب والتلاحم، إلا أنه يمكن إدراك مثل هذه البصيرة بوسائل أخرى غير المعرفة النظرية بعلم النفس، فعلم النفس ليس ضروريا للفن، وليس له قيمة فنية في حد ذاته، ذلك إذا أخذناه بمعنى إنه نظرية واعية ومنهجية في العقل وطرائق عمله.(رينيه 1985، ص95)

ويأخذ صلاح فضل على المنهج النفسي تحويله دراسة الأدب إلى مجرد هامش موضح لمنظور علمي يرتبط بدراسة النفس الإنسانية بتجلياتها المختلفة، وأنه مجرد شاهد على بعض الحالات التي توصف بأنها شاذة، ويأخذ عليه أيضا، عدم شموليته، أي إن أدوات التحليل والإجراءات التي تستخدم المنظور النفسي غالبا ما تنجح في إضاءة قطع متناثرة، وأجزاء يسيرة من النص،(فضل، ص70) ورأى صلاح فضل أن المنهج النفسي لا يستطيع عقد علاقة سببية بين العامل النفسي من ناحية، والإبداع من ناحية أخرى.(المصدر السابق، ص71)

ويرى كارلوني وفيللو أن العمل الجيد والعمل الرديء سواء من ناحية الدلالة النفسية، فإذا استحال النقد الأدبي إلى دراسات تحليلية نفسية لم تتبين قيمة الجودة الفنية الكاملة.(خفاجي، 1995، ص192)

وأرى أن الخوف يكمن في:

- استسهال الباحثين والنقاد إطلاق الأحكام النفسية على الشخصيات الأدبية نتيجة الفهم السطحي لمقولات التحليل النفسي، والتطبيق العشوائي لأدواته.
- اعتماد نجاح هذا المنهج على وفرة المعلومات الخاصة بحياة الأديب وهي في أكثرها غير موثقة، بل غير موثوقة فلا نصل إلى الحقيقة، ثم إن علينا أن نعلم أنه حين يهتم ناقد بالسيكولوجية، فهذا لا يعني أنه دائما يكتب نقدا سيكولوجيا وإن الإطناب في التعليق على مشاعر الأشخاص، ودراسة سيرة حياة المؤلف لا تخضع أبدا لدراسة مركب الإنسان – الأثر في غناه السخي. (كارلوني–ص 118)

ورأيي أن المنهج النفسي لم يعد موضوع أخذ ورد بين الباحثين في شؤون الإبداع فقد أثبتت الإحصاءات في الغرب ذلك، إذ إن المؤلفات التي تعتمد هذا المنهج تتزايد باطراد سنة بعد سنة.

وإن مدارس التحليل النفسي المختلفة تتكامل ولا تتعارض، وحتى إن المدرسة الفرويدية تطورت وتشعبت حتى أصبحت اليوم منهجا تكامليا. (خريستو 1991، ص ص 205(206)

والقراءة النفسية في تفسير الأدب تكشف عن التناقضات الظاهرية في الناتج الأدبي، وتزيل الغموض الذي يكتنف بعض الصور الشعرية، والأحداث الروائية، وبفضل تتبع الخيط النفسي الذي ينتظم القصيدة الجاهلية على سبيل المثال أمكن القول بالوحدة الشعورية التي أزالت شبهة التفكك عنها.

- لقد شجع اكتشاف عالم اللاشعور الكتاب على كتابة أعمال تفيد من هذا الاكتشاف حتى بات النقاد أمام أعمال معقدة تفيد من منجزات علم النفس بوصفها رموزا فنية أكثر منها حقائق نفسية.
- "إن الدراسات النفسية الحديثة مكنت الدارس من استغلال طرائق منهجية فأصبح يستطيع أن يحلل الأثر الأدبي ويستمد من التحليل استنتاجات حول نفسية صاحبه.(ديتش، ديفيد، 1967، ص 529)

– لقد طور تلامذة فرويد من النظرة النفسية إلى الأدب وإن أبقوا على الأسس كما هي، ولهذا فليس من العدل أن نقول: إن المنهج النفسي يرى كذا لأن المنهج النفسي مدارس كثيرة تخلف فيما بينها في كثير من الأمور.

ونلتمس العذر من القارئ إذا ما ذكرناه ببعض المفاهيم التحليلية الأساسية التي يقبلها التحليل النفسي كله رغم اختلاف المدارس وهي، كما لخصها كارلوني وفيللو:

1–إن أفكار الفرد ومشاعره التي يقوم بها في فترة ما ترتبط، حصرا، بتاريخ دوافعه الشخصية وبالطريقة التي يدرك بها الموقف الذي يحيط به.

2–إن الأهمية الأساسية للطفولة الأولى في تاريخ تكوين الشخصية تحت التأثير المزدوج للميول الغريزية ولبنية الموقف السيكولوجي والاجتماعي.

3–تلعب الصراعات النفسية الداخلية ولا سيما الإحباط، دورا هاما في ظهور الأعمال الأدبية. (كارلوني، ص 119)

فهل يستطيع علم النفس أن يخدمنا في تفسير الأعمال الأدبية وتقييمها؟

يرى كارلوني وفيللو أن علم النفس يستطيع أن ينير جوانب عملية الأبداع (ديفيد ديتش، ص 523) ورأيي أن للعمل الأدبي دورا في تحديد المنهج النقدي، ويرى ديفد ديتش أن ذلك يتم بطريقتين، أولا: في البحث وفي عملية الخلق والإبداع، وثانيا: في الدراسة النفسية لأدباء بأعيانهم لتباين العلاقة بين مواقفهم وأحوالهم الذهنية وبين خصائص نتاجهم الأدبي. (رينيه، ص93)

ونحن حين نطبق المنهج النفسي في النقد، فإننا نجد أنفسنا مباشرة وقد جابهتنا مهمة الاختيار والانتقاء من عدة ميادين لها صلة ببعضها البعض وبما أن المنهج النفسي يتناول المؤلف، والأثر الفني فإنه يتطلب منا أن ندرس المؤلف وعملية الإبداع، وأن نهتم بالعمل الفني شكلا ومضمونا وأن نهتم بالأثر الذي يتركه الأدب في القارئ. (السمرة، 1997، ص ،80،79)

واكتشف أدلر قانونه النفسي المعروف بمركب النقص ذاهبا إلى أن الفن دائما ثمرة لهذا المركب، أي أن الفن هو رد فعل لشعور الفنان العميق بالنقص يريد أن يتلافاه، وهو لذلك يجمع كل قواه الفنية السحرية لمواجهته ومحاولة الانتصار عليه، وبحسب قوة هذا النقص، وقوة الهجوم الذي يوجهه إلى الشاعر تنزل الآثار الفنية منازلها من الإبداع والروعة، أو بمقدار الشعور به سواء أكان ماديا يتصل بعاهة أو بمرض، أو كان معنويًا يتصل بأسرة الفنان، أو حياته ويكون به تفوق الفنان وإبداعه وإمتاعه.(ضيف، ص113) ويرى آدلر أن الشخصية يحركها هدف نهائي، هو الرغبة في التفوق الذي يتضمن تحقيق الذات وتطورها، ولهذا فأن الشعور بالنقص يدفع الإنسان للبحث عن وسيلة ليخفف بها من الشعور بالدونية.

وفي هذه الدراسة تناولت قصائد أبي فراس الحمداني بالتحليل النفسي ليتبين كيف استطاع اللاشعور أن يشرط بنايات الصور، والمفهومات، والأحوال الداخلية، وأن مركب النقص الذي تحدث عنه آدلر هو ما يحرك أبا فراس الحمداني في هذه القصائد.

ورأيي قبل أن أشرع بقراءة القصائد واستخراج ما فيها من إشارات نفسية عميقة على أهداف أبي فراس الحمداني أن أقرر بأن محتويات اللاشعور أو ظهور مكنوناته هو واحد من بين القوانين المتحكمة بالصورة في قصائد كثير من الشعراء، وأن العنف السياسي، واغتراب الفرد أمام السلطة المتحكمة به يشكلان الحالة النفسية التي تفرض ذاتها عبر جزئيات كثير من القصائد بناء على أن هذه كلها تحديات تقف حائلا أمام أهداف الشاعر الكبرى التي يسعى إلى تحقيقها.

ثانياً: ألفرد آدلر ومركب النقص .

انضم ألفرد آدلر وهو طبيب يهودي عقلي نمساوي(Alfred Adler, , 1993, p, 435) إلى جماعة المناقشة التي أنشأها فرويد، ثم أصبح رئيسا لها في فينا حيث ولد عام 1870م وكان ترتيبه الثاني في عائلة من ستة أطفال، توفي أخوه في الفراش المجاور له بسبب الدفتيريا، وقد عانى هو نفسه من الكساح وداء الرئة، وغيره وقد أثر فيه هذا كله فكان السبب لقراره أن يصبح طبيبا بشريا لمحاربة الموت على حد تعبيره، فحركه الهدف للنجاح فأصبح طبيبا بشريا ثم تحول إلى علم النفس فأهتم بالتحليل النفسي متأثرا بما يقوله فرويد ولكنه سرعان ما اختلف مع فرويد ووصف أفكار فرويد بالقذارة والفحش، ونعته بالمخادع المحتال، فنعته فرويد بأنه غير طبيعي، ويذكر أنه اختلف مع فرويد وكارل يونغ في ماهية القوة الدافعة في حياة الإنسان فهو أكد أنها الشعور بالنقص والتي تبدأ عندما يبدأ الطفل بفهم وجود الناس الآخرين والذين عندهم قدرة أحسن منه للعناية بأنفسهم والتكيف مع بيئتهم مخالفا بذلك فرويد، لذلك استقال آدلر من جماعة فرويد، وأسس جماعة علم النفس الفردي(آدلر، ألفريد، 2005م)، ص7) Hoffman, E (1994) pp. 41–91) التي أكدت أن كل شخصية تتميز عن الأخرى، وتختلف عنها، وأهمية النظرة الشاملة لشخصية الفردي وعدم إمكانية تجزئتها أو تقسيمها،(آدلر، ص8) وشرح آدلر في كتابه الطبيعة البشرية وأساسيات نمو الشخصية وتطورها، وشرح السلوك الخاطئ للفرد الذي يؤثر في التناغم الذي يجب

أن يسود حياتنا الاجتماعية، والكيفية التي يمكن أن يطور بها الفرد نفسه حتى يتأقلم مع محيطه،(آدلر، ص11) وأكد في تمهيده لكتابه "الطبيعة البشرية" سعيه الجاد لتوضيح أساسيات علم النفس الفردي ومبادئه،(آدلر، ص15) ونبه إلى ضرورة الإصغاء لذكريات المريض عن مرحلة طفولته، لأن الخصائص التي تلحظ على الشخص البالغ ما هي إلا انعكاس مباشر للخبرات التي مر بها خلال مرحلة طفولته، لأنها مرحلة بناء الأهداف، (آدلر، ص18) ويرى آدلر أن الجانب الاجتماعي من علم الطبيعة البشرية هو من أهم الجوانب على الإطلاق،(آدلر، ص22) وأن الإنسان يسعى دائما لتحقيق هدف ما فهو يعرف الروح بانها "مجموعة من الأجزاء المتحركة القادرة على النمو والتطور والتي تنبع من مصدر واحد، والتي تسعى لتحقيق هدف واحد"، وإن هذا الهدف هو الذي يحدد الحياة العقلية للشخص، لأنه لا يوجد إنسان يستطيع التفكير أو الشعور أو الرغبة أو الحلم من غير هذه النشاطات الموجهة باستمرار نحو تحقيق الهدف"، وكل هذا ينتج عن ضرورة تكيف الكائن الحي حتى يستطيع التفاعل مع البيئة المحيطة"،(آدلر، ص31) وأن معرفتنا بهدف الفرد، وبالبيئة المحيطة به في العالم تمكننا من فهم معنى الطرق التي يعبر بها هذا الفرد عن نفسه، وبالاتجاه الذي ستأخذه حياته، وكيف ستعمل كل هذه الأشياء معا استعدادا لتحقيق الهدف، وأنه يمكن اكتشاف هدف الفرد من خلال مراقبة نشاطاته الحالية"،(آدلر، ص33)وهو يرى أن "المجتمع يفرض مجموعة من الواجبات والقيود علينا، وهذا بالتالي في طريقة حياتنا وشكلها ويؤثر في نمو عقولنا وتطورها،(آدلر، ص45) وأن الأساس الذي يبني عليه الطفل نموه وتطوره هو محاولة التعويض عن الضعف الذي يشعر به، والكثير من المواهب والقدرات تخرج من الشعور بالدونية،(آدلر، ص46) وأن الأوضاع التي يجد الطفل نفسه فيها تختلف اختلافا شديدا بين فرد وآخر، في بعض الحالات نجد أنفسنا نتعامل مع بيئة شديدة الخطر على الطفل، حتى إنها تعطيه الانطباع الخاطئ بأن العالم كله معاد له،(آدلر، ص47) وهذه ما تسمى النقص أو عقدة النقص أو الدونية العضوية (إعاقة جسدية ناتجة عن إعاقة جسدية)، وأكد آدلر أن للعقبات بنوعيها: عقبات تنتج عن عيوب البيئة المادية المحيطة بالطفل، وعقبات تنتج عن إعاقة جسدية التي تواجه الطفل قد ينتج عنها تشويه لشعوره الاجتماعي،(آدلر، ص47) ورأى أنه لا يمكن فهم شخصية الفرد إلا عندما تكون في بيئتها الاجتماعية فقط، وعندها فقط يمكن أن نقيم مكان الفرد بين الأشياء المختلفة وموقفه تجاه البيئة المحيطة به ووضعه في العالم،(آدلر، ص48) وأن مشاعر الدونية وعدم الكفاية وعدم الثقة بالنفس هي التي تحدد هدف الفرد في الوجود والميل للظهور 82، وأن شعور الفرد الاجتماعي هو الذي يحدد هدفه في التفوق،(آدلر، ص82)وأن السلوك البشري مؤسس على السعي الحثيث نحو تحقيق هدف ما،(آدلر، ص91) وأنه عندما يبدأ السعي الحثيث نحو التفوق في السيطرة على الفرد فإن هذا السعي يحث التوتر النفسي على مزيد من الظهور والزيادة،(آدلر، ص191) وأن بعض الأفراد يستخدم ذكاءه الفطري في محاولة لرفع نفسه فوق باقي البشر عن طريق أن يجرح شخصيات الآخرين ويلسعهم بلسانه الحاد،(آدلر،

ص198) وأن الغيرة والطموح تكشفان عن موقف الفرد الهجومي من العالم فإن الغيرة هي رفيق الطموح وهي تنشأ من شعور الفرد أنه مهمل وبان الآخرين يتحيزون ضده(آدلر، ص216) .

ثالثاً: أبو فراس الحمداني (320 ـ 357 هـ / 932 ـ 968 م) الدوافع والنفسية

يقول الصاحب بن عباد: "بدئ الشعر بملك وانتهى بملك،"(ابن رشيق، 1955، ص 48/ ابن خلكان، 1978، ص59) يعني امرؤ القيس وأبا فراس، وأبو فراس الحمداني هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي أمير شاعر فارس، وهو ابن عم سيف الدولة. وُلد في مدينة الموصل في العراق في زمن الخلافة العباسية عام 320هـ وقيل 321هـ. وقد عاش طفولته المفعمة بالحزن والفقد والنقص والفخر والبطولة والانكسار. وقد شكّلت شخصية أبي فراس الحمداني مجموعة من الأحداث والعوامل والظروف، وحركت شخصيته وإبداعه الشعري أهدافه العليا التي رسمها لنفسه منذ طفولته نتيجة ما مرّ به من أحداث، وكانت سببا في مقتله، ولعل أهم العوامل التي رسمت أهداف أبي فراس الحمداني العليا ودفعته إليها ما يأتي:

- مقتل أبيه الذي كان أميراً من أمراء بني حمدان، وقد قُتل أبوه وعمره ثلاث سنوات بسيف ابن أخيه ناصر الدولة.
- أمه الرومية التي يقال إنها كانت سبية حرب(ضيف ، بدون تاريخ ، ص٢٢٣)
- أنه عاش يتيماً وربته أمه بمساعدة ابن عمه سيف الدولة الحمداني الذي كان في تلك الفترة حاكماً على بلاد الشام.
- ترعرعه في كنف الحاكم القوي سيف الدولة الذي أولاه رعايةً خاصةً، فشّب فارساً شجاعاً
- بنيته القوية وقامته الطويلةٍ.
- قال السيد محسن الأمين: "وأبو فراس الفائق بشعره فيهم والمتميز بشجاعته وفروسيته".(العاملي، 1935، ص308)
- فطنته وذكاؤه اللذان جعلا سيف الدولة يوليه منبج وعمره آنذاك سبع عشرة سنة،(ابن العديم، 1996م، ص 77) يقول الثعالبي:" كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً، وكرماً ونبلاً، ومجداً وبلاغةً وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع، وسمة الظرف، وعزة الملك، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة، ونقدة الكلام، وكان الصاحب يقول: (بدئ الشعر بملك وختم بملك) يعني امرؤ القيس وأبا فراس"(الثعالبي، 1983م)، ص 57)
- قبيلته تغلب التي كانت من أعز قبائل العرب وأرفعهم شأناً، وقال الثعالبي: "كان بنو حمدان ملوكاً وأمراءَ أوجههم للصباحة وألسنهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة".(الثعالبي، ص 27)

- وقد لاحظ الشاعر محمد حسن امرابي، وجبانكير عوامل تكوّن شخصية أبي فراس الحمداني النرجسية، بناءً على ما استوحياه من نظريات "كوهن"، هي: "أسرة ملكيّة مرموقة ذات سمعة طيبة، وترعرعه في بيئة أرستقراطية من جهة، وردّة فعله حيال الوقوع في أسر الرّومان من جهة أخرى(امرابي، 1438هـ، ص ص 23(38) .

أهداف أبي فراس الحمداني:

وجدت في حياة أبي فراس الحمداني وفي قصائده الكثير من العلامات والإشارات التي تشير إلى أهدافه العليا التي سيطرت على فعله وقوله وسعيه، فحركت إبداعه الشعري وطموحه الواضح الذي صرح عنه، فقد أظهرت قصائد أبي فراس الحمداني وسيرته التي وصلتنا أنه كان رجلاً طموحاً واثقا من قدرته السياسية، وأنه سعى لتحقيق مكانة سياسية وثقافية وأدبية معترف بها ممدوحة محمودة، وأنه سعى لتحصيل إمارة مستقلة له، وظهر طموحه هذا بجلاء بعد وفاة سيف الدولة، وأظهرت قصائده وسيرة حياته أيضا أنه كان يسعى للأخذ بثأر أبيه فقد ظهر العامل الثأري قويا في تأثيره في شخصية أبي فراس، بل لعله من أبرز العوامل المؤثرة فيها. ومن العلامات التي تظهر سعي أبي فراس الحمداني للسلطة واسترداد كرسي أبيه:

سيطرة الفخر بالذات على شعر أبي فراس، فقد امتلأ شعره عزة وأنفة، فنظم في مفاخره ومفاخر آبائه، يقول:(الحمداني، ص 213)

سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ويذكر ابن خالويه جامع ديوان حادثة تشير إلى نفسية أبي فراس المتعالية التي لا ترضى الذل والخضوع في جو ابتسمت فيه الدنيا لناصر الدولة قاتل أبي الشاعر وتؤكد اعتزازه بنفسه وأنفته ورفضه أي تفضل عليه، فقد حدثنا ابن خالويه أن أبا فراس الحمداني رفض هدية سيف الدولة حين عرض عليه خيوله، مع أن من حضر كلهم اختاروا منها وطلبوا حاجتهم، وقد يفهم منها أيضا أن أبا فراس كان يشعر أن أبناء ناصر الدولة قتلة أبيه، ليسوا أحق منه بالحكم في والمكانة السياسية والاجتماعية، ومما يشير إلى سعي أبي فراس الحمداني للسلطة والثأر قصيدته التي ألقاها في حضرة سيف الدولة وأمام اخيه ناصر الدولة ومزج فيها بين مدح سيف الدولة وهجاء ناصر الدولة قاتل أبيه، فهي قصيدة دالة على موقف أبي فراس من السلطة الحاكمة، ومن قاتل أبيه الذي فرضت عليه حياته في كنف سيف الدولة لقاءه، فهي قصيدة فيها تهجم على ناصر الدولة وذكر لمخازيه ومساوئه، وتنبيه على أن الثأر لا ينساه فارس مثله، فقال:(الحمداني، ص 255، 256)

ما كثرة الخيل الجياد بزائدي شرفاً ولا عدد السوام الضافي

خيلي وإن قلت كثير نفعها بين الصوارم والقنا الرعافِ

ومن العلامات الدالة على سعي أبي فراس الحمداني إلى أهدافه ومنها السلطة خلافه مع المتنبي إذ اصطدم طموح أبي فراس بطموح المتنبي، وهو صدام يعد من المؤثرات المهمة في شعره، إذ يرجح الباحث أن سبب هذا الخلاف روح أبي فراس الطامحة للحكم، وظنه أن المتنبي عقبة أمام سعيه للسلطة والحكم، فهو لم يكن يتقبل قرب المتنبي من ابن عمه سيف الدولة. يقول الثعالبي: "وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه، فلا يتبرى لمباراته، ولا يجترئ على مجاراته، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً، لا إغفالاً وإخلالاً"،(الثعالبي، ص 57) ومن ذلك أيضا أن ديوان أبي فراس الحمداني لا يحتوي على المدح التكسّبي، فهو يعد نفسه متفضلا لأنه أمير من بني حمدان، ويعد نفسه شريكا في ماصل إليه سيف الدولة،(آل عجيم، 1429هـ، ص29، 31) واجتمعت كثير من المؤثرات في طفولة أبي فراس الحمداني لتشكيل شخصيته وتبنيه لأهدافه من حياته، منها مقتل أبيه، ونشأته في حضن والدته الرومية، وإقامته في ظل سيف الدولة الحمداني.

الفصل الثاني: أهداف أبي فراس من شعره

يقول أبو فراس الحمداني:(الحمداني، ص 214)

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهرُ
أعزُّ بني الدنيا وأعلى ذوي العلا وأكرم من فوق التراب ولا فخرُ

كانت حياة أبي فراس الحمداني حلقة متصلة من المآسي اخْتُتِمَت بمشهد موته، فقد قتل أبوه منذ طفولته، وعاش حياة من القهر النفسي، وهو يرى القاتل أمامه يرفل في ثياب الحكم. ولكنه وعلى الرغم من طفولته المعذبة، ومن كثرة ما يحيط به من منافسين استطاع أن يحقق لنفسه مكانة في بلاط سيف الدولة مخفياً أحاسيسه، وكان الشعر لأبي فراس الحمداني متنفسًا لنفسه الغاضبة، ووسيلة للوصول إلى السلطة عبّر فيه عما في روحه من حزن وغضب وطموح من غير أن يلحظ الآخرون، وظهر سعي أبي فراس الحمداني إلى أهدافه في شعره واضحًا في أربعة محاور متكاملة متعاضدة: الدرب الصاعد، وصفات الفارس، وتحدي العقبات، والنفس الطموحة.

أولا: الصفات العالية:

فخر أبو فراس الحمداني بأنه يملك شخصية نموذجية، فيها صفات الكبار التي تميزه عن غيره، ورأى في نفسه أشياء مثيرة لا يصل إليها كثير من الناس،(المعري، ص ص 28، 29) فهو لم يترك فرصة إلا وفخر بما يملكه من صفات تؤهله ليكون سيدًا يليق بالمعالي، وهي صفات جسدية ومعنوية، منها: الأنفة، والثبات والإصرار على الهدف، والشجاعة، والبراعة في القتال، وهدف أبو فراس الحمداني من الفخر بامتلاكه هذه الصفات أن ينبه على أحقيته أن يكون واحدا من الكبار،(المعري، ص30) والوصول للمعالي ومنها السلطة والمنزلة الرفيعة، فهذه صفات الفرسان الابطال القادة والصبر الذي هو من صفات

أبـي فراس الحمداني التـي يكرر ذكرها فـي قصـائده، وهـي صـفاته التـي تمسك بها لأنهـا عزاؤه ووسيلته النفسية للثبات للوصول إلى أهدافه، فهو صبور على كيد الحساد، وصبور في مواجهة الأعداء، وصبور على اللأواء، يقول:(الحمداني، ص 83)

صبرتُ على اللأواء صبر ابن حرة كثير العدا فيها ، قليلِ المساعد

ومما فخر به أبو فراس صبره على النائبات واحوال من لا يجد منهم خيرا، وصبره على الأيام الصعبة، وعلى المصائب وتقلبات الدهر، يقول:(الحمداني، ص 22)

صبور ولو لم تبقَ مني بقية قؤول ولو أن السيوف جوابُ

وقال في صباه يصف حزنه الشديد، وصبره على فراق من يحب:(الحمداني، ص 175)

بكيت ، فلما لم أرَ الدَّمع نافعي رجعتُ إلى صبرٍ أمرُّ من الصبرِ

وقدّرت أن الصبرَ بعد فراقهم يساعدني وقتاً فعزيت عن صبري

ويقول:(الحمداني، ص**208**)

ولئن رميت بحادثٍ فلألفين له صبورا

صبراً لعلَّ الله يفتح بعدهُ فتحاً يسيرا

ويقول:(الحمداني، ص 209)

أراك عصيَّ الدّمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

ومع أن روميات أبي فراس الحمداني بشكوى الزمان، والعتب على سيف الدولة الذي لاذ بالصمت إلا أنه فيها على تأكيد حمله صفات البطل الفارس، وصفات الحاكم القوي الحكيم القائد، لأن ثقافة عصره تمجد تلك الصفات في الشخص؛ فهي ضرورة ولازمة مهمة لتحقيق الأهداف والوصول للمعالي، ففخر أبو فراس الحمداني بامتلاكه صفات الفروسية كلها، المعنوية منها والمادية، فهو حافظ للجار مراعٍ لواجبه، ومقاتل بارع ثابت على مبادئه، لا يتخلى عن أهدافه وطموحه حتى في الأسر، يقول: (الحمداني، ص 84)

عسى الله أن يأتي بخير فإن لي عوائدُ من نعماه ، غير بوائدِ

فكم شالني من قعر ظلماء لم يكن لينقذني من قعرها ، حشْدُ حاشدِ

فإن عدت يوما، عاد للحرب والعلا وبذل الندى والجود أكرم عائدِ

مرير على الأعداء ؛ لكن جاره إلى خصب الأكناف عذب الموارد

وهو عفيف، صاحب همة عالية، وقلب ثابت وعزم قوي، يقول:(الحمداني، ص 106)

نفى الهمَّ عني همةٌ عدوية وقلبٌ على ما شئت منه مظاهرُ

وأسمر مما ينبت الخط ذابل وأبيض مما تطبع الهند باترُ

وقلب يقر الحرب وهو محارب وعزم يقيم الجسم وهو مسافرُ

ونفس لها في كلِّ أرض لبانة وفي كلِّ حيٍّ أسرةٌ ومعاشرُ

وهو الحامي المنافح عن الحمى المدافع، والسيد الماجد ابن الأماجد ، يقول:(الحمداني، ص 85)

منعت حمى قومي وسدت عشيرتي وقلّدت أهلي غر هذي القلائدِ

خلائقُ لا يوجدن في كلِّ ماجدٍ ولكنها في الماجد ابن الأماجد

وتتضخم ذات الشاعر وهو يذكر نسبه ومجد عشيرته، ومجد أبيه وجده، ويذكر أصله وفعاله، فيكثر من قول (أنا) سعيا منه لتثبيت ذاته، وتذكيرها إن وهنت بأنها نفس شاعر فارس مقاتل أمير سيد، يقول:(الحمداني، ص 88)

وأنا ابن من شاد المكارم وابتنى خطط المعالي حيث حلّ الفرقد

وأنا الذي علم الأنام بأنه لم ينمه إلا كريم سيدُ

والمجد يوجد عندنا بأرومه والعارُ والفحشاء ما لا يوجدُ

والفخر يقسم أننا أربابه دون البرية، والمكارم تشهدُ

حمدان جدي خير من وطئ الثرى وأبي سعيدٌ في المكارم أوحدُ

أعلى لنا لقمان أبيات العلا وأناف حمدان وشيد أحمد

والوفاء صفة أصيلة ضرورية من صفات السيد الفارس، فيفخر أبو فراس الحمداني بهذه الصفة فيه فهو لا يحمل الحقد، وهو وفيّ، بل أمة في الوفا، يقول:(الحمداني، ص ص 92، 93)

ولما أساء الظنّ بي من جعلته وإياي مثل الكف نيطت إلى الزندِ

حملت إلى ظني به سوء ظنه وأيقنت أني بالوفا أمّةٌ وحدي

وأني على الحالين في العتب والرضى مقيم على ما كان يَعْرِفُ من وُدّي

وهو ابن بني حمدان الذين خلقوا للمجد والجود والحمد، يقول:(الحمداني، ص 94)

لئن خلق الأنامُ لحسو كأسٍ ومسمعةٍ وطنبور وعودِ

فلم يخلق بنو حمدان إلا لمجد او لحمدٍ أو لجودِ

ويحرص أبو فراس الحمداني على صفة أصيلة أخرى من صفات القائد الفارس الذي لا يرضى الاقتتال، ويبسط يده للصلح حقنا للدماء، يقول:(الحمداني، ص 98)

أيا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا أيا قومنا لا تقطعوا اليد باليد

ويرى أبو فراس الحمداني أنه ماجد، فيه صفات السيد العالي التي ورثها عن آبائه وأجداده من آل حمدان، يقول:(الحمداني، ص 123)

ولا أنا فيما قد تقدم طالبٌ جزاءً ولا فيما تأخر وازرُ

يسرُ صديقي: أن أكثر واصفي عدوي وإن ساءته تلك المفاخرُ

نطقت بفضلي وامتدحت عشيرتي وما أنا مدّاح ولا أنا شاعرُ

ويقول مؤكدا صفاته، وأنه ملأ القلوب فضلا ونبلا، وأن ما أصابه لن ينال منه لأنه قرم لا يؤثر فيه تقلبات الدهر ولا حوادث الزمان، فهو قرم حيث حلا، يقول: (الحمداني، ص 328)

من كان سرَّ بما عرا ني ، فليمت ضراً وهزلا
لم أخلُ فيما نابني من أعزّ وأن أجلا
رعت القلوب مهابة وملأتها فضلاً ونبلا
ما غض مني حادث والقرم قرمٌ حيث حلا

فهو قرم حتى في أسره، فقد أكرمه بالقسطنطينية ملك الروم إكراماً لم يكرمه أسيرا قبله، وذلك أن من رسومهم: أن لا يركب أسيرٌ في مدينة ملكهم، دابة قبل لقاء الملك، وأن يمشي في ملعب لهم يعرف بالبطوم، مكشوف الرأس، ويسجد فيه ثلاث سجدات أو نحوها ويدوس الملك رقبته...فأعفاه من جميع ذلك ونقله إلى دار وجعل فيها برطاسانا يخدمه، وأمر بإكرامه، وقال:(الحمداني، ص 324)

فقل لبني عمي، وأبلغ بني أبي بأني في نعماء يشكرها مثلي
وما شاء ربي غير نشر محاسني وأن يعرفوا ما قد عرفت من الفضلِ

وهو لا يقبل إلا ان يكون المحور والمركز لا الهامش، يقول:(الحمداني، ص 228)

عزيز حيث خط السير رحلي تداريني الأنام ولا أداري
وأهلي حيث أنخت إليه عيسي وداري حيث كنت من الديارِ
فما أهل الغداوة لي بأهل ولا دار المذلة لي بدارِ

وهو متبوع في الحرب لا تابع، يقول:(الحمداني، ص 228)

وتخف حولي الرايات حمراً وتتبعني الخضارمُ من نزارِ

ويغضب أبو فراس الحمداني إن لم يؤخذ بمشورته وبرأيه، فهو يرى أنه عارف بالحياة وبأمورها، يقول وقد أشار بأمر خولف: (الحمداني، ص 244)

كيف أرجو الصلاح من أمر قومٍ ضيعوا الحزم فيه أيَّ ضياع؟
فمطاع المقال غير سديد ، وسديدُ المقال غير مطاع!

ولا يكل الشاعر من تذكير المتلقي بقدرته على مواجهة الصعاب، وصبره على المشاق، ومن ذلك مواجهة الصحراء بكل ما فيها، بل إنه يسلي نفسه بها من الهموم، يقول:(الحمداني، ص 226)

وكنتُ، إذا الهموم تناوبتني فزعت من الهموم إلى العُقَارِ
أنخت وصاحبي بذي طلوحٍ طلائحَ شفها وخد القفارِ
ولا ماء سوى نطف الأداوي ولا زادٌ سوى القنص المثارِ

ثانياً: الدرب الصاعد: درب القتال والبطولة والشعر

اختار أبو فراس القتال والحرب والبطولة والفروسية والشعر لتوصله إلى غاياته وأهدافه، ومن ذلك أنه ثبت حين أراده أصحابه على الهزيمة، وصمد في قتال الروم حتى أثخن بالجراح وأسر، يقول:(الحمداني، ص 335)

ولست أبالي إن ظفرتُ بمطلبٍ يكون رخيصاً أو بوسم مزود
ولكنني أختار موت بني أبي على صهوات الخيل غير موسدِ

ويقول:(الحمداني، ص 83)

فطاردتُ حتى أبهر الجري أشقري، وضاربتُ حتى أوهن الضرب ساعدي

وأبو فراس يصرح بأنه يذكر المشهور من أيام أسلافه، ومفاخر آبائه وأجداده، لأنه يرى أنها أكثر من أن يجمعها شعره، وأنه لا يذكر منها إلا الوقائع المشهورة، والعساكر الجامعة، وهو لا يفتأ يذكر استعداده للحرب وعدتها، وأيامها وما يوجهه فيها، فهو مستعد للحرب دائما حتى في زيارته لحبيبته، فيقول:(الحمداني، ص ص 104)

تقول إذا ما جئتها متدرعاً أزائرُ شوق أنت ، أم أنت ثائرُ

وخرج سيف الدولة في بعض غزواته، ولم يأذن له في المسير معه، فحزن حزنا شديدًا، لأن إبعاده عن القتال هو إبعاد عن طريق المعالي، يقول:(الحمداني، ص 188)

دع العبرات تنهمر انهمارا ونارَ الوجد تستعرُ استعارا
أتُطفأُ حسرتي ، وتقرُّ عيني ولم أوقدْ مع الغازين نارا
رأيت الصبر أبعدَ ما يرّجى إذا ما الجيش بالغازين سارا
وقد ثقَّفت للهيجاء رمحي وأعددت المهاري والمهارا
ستذكرني إذا طردت رجالٌ دفقتُ الرمح بينهم مرارا
وأرضٌ كنت أملؤها خيولاً وجو كنت أملؤه غبارا
لعل الله يعقبني صلاحاً قويما أو يقيّلني العثارا
فأشفى من طعانٍ الخيل صدراً وأدرك من صروف الدّهر ثارا

ورفض أبو فراس الفرار من أمام الأعداء مع أنهم أكثر عددا وعدة، فقاتل حتى أثخن بالجراح فأسر، فهو يؤمن أن الموت بعز خير من العيش بذل،(الحمداني، ص 419) ويقول:(الحمداني، ص 213)

وقال أصحابي: الفرار أو الردى فقلت هما اثنان أحلاهما مرُّ
ولكنني أمضي إلى ما لا يعيبني وحسبك من أمرين خيرهما الأسرُ
يقولون لي: بعتَ السلامة بالردى فقلت أما والله، ما نالني خسرُ!

وأبو فراس يؤمن، كما هم أبناء عصره، أن القوة هي أساس الحكم، فأكثر من ذكر قوته وقدرته الحربية وشجاعته وولاءه لسيف الدولة، فقال:(الحمداني، ص 16)

أنا ابن الضاربين الهامَ قدما إذا كره المحامون الضرابا

ألم تعلم؟ ومثلك قال حقاً بأني كنت أثقبها شهابا!

وهو يؤمن ان المجد لا يناله وادع، يقول:(الحمداني، ص 110)

وكيف ينال المجد والجسم وادع وكيف يحاز الحمد والوفرُ وافرُ

ويكرر أبو فراس الحمداني في قصائده ولاءه لسيف الدولة، وطاعته له في كل ما أمر، وهذا جزء من استخدام الشعر للوصول إلى السلطة، إلى جانب سعيه العملي للوصول إلى ذلك الهدف عن طريق المشاركة الفاعلة المؤثرة في حروب سيف الدولة، والمساهمة في صناعة النصر فيها، يقول:(الحمداني، ص ص 15، 16)

وملنا بالخيول إلى نميرٍ تجاذبنا أعنتها جذابا

أمام مشيعٍ سمح بنفسٍ يعز على العشيرة أن يصابا

وما ضاقت مذاهبه ولكن يهاب من الحمية، أن يهابا

ويأمرنا فنكفيه الأعادي همام لو يشاء، كفى ونابا

ويقول: (الحمداني، ص 120)

بنا وبكم يا سيف دولة هاشم يطول بنو أعمامنا ويفاخرُ!

فإنا وإياكم ذراها وهامها إذ الناس أعناق لها وكراكرُ

وتجشم السفر في الصحراء، والقدرة على قطع المفاوز والفيافي مما يطلب لتكتمل صفات الفروسية في الفارس، ولذلك فإن أبا فراس يظل يذكر قطعه للصحاري وسيره فيها وتجشمه عناء الرحيل فيها، يقول:(الحمداني، ص 252)

لئن لم أخلِ العيس، وهي لواغبٌ، حدابيرَ ، من طول السرى وظوالعُ

ثالثاً: مواجهة العقبات: الحساد، والأسر، واختلاف مزاج الحاكم، والمنافسون.

واجه أبو فراس الحمداني العقبات التي واجهته في طريقه نحو المعالي بهمة وقوة وصبر، وثبت في مواجهتها، وهوّن من أمرها في سبيل تحقيق أهدافه، ومن العقبات التي واجهته كثرة الحساد والمنافسين، الذين سعوا للإيقاع بينه وبين سيف الدولة، وإبعاد الشاعر الطموح عن طريقه الصاعد، يقول:(الحمداني، ص 357)

ألم يرَ هذا الدّهر غيري فاضلا؟ ولم يظفر الحساد، قبلي، بماجدِ

ويبدو أن عصبة من عشيرته قد عرفت ما في نفسه، وما يريده وما يسعى إليه، فحقدت عليه وكادت له، وسعت لإبعاده عن السلطة، يقول معاتبا وشاكيا:(الحمداني، ص 360)

إلى الله أشكو عصبة من عشيرتي يسيئون لي في القولِ ، غيبًا ومشهدا
يودون أن لا يبصروني سفاهة، ولو غبت عن أمر تركتهم سدى

ويهاجم أبو فراس الحساد كثيرا، الذين لا يكلون من الطعن في سعيه، والتشكيك في نقائها، ومحاولة الإيقاع بينه وبين السلطة السياسية، لإبعاده عن أهدافه، يقول:(الحمداني، ص 81)

لمن جاهد الحساد أجرَ المجاهد؛ وأعجز ما حاولتُ إرضاء حاسدِ
ولم أر مثلي اليوم أكثر حاسداً كأن قلوب الناس ، لي ، قلب واجدِ

ويرى أبو فراس الحمداني أن حساده هم من لم يستطيعوا الوصول إلى أخلاقه التي تميز بها، ويعد ذلك شرفاً له، يقول:(الحمداني، ص 31)

ومن شرفي أن لا يزال يعيبني حسودٌ على الأمر الذي هو عائبُ
رمتني عيون الناس حتى أظنها ستحسدني في الحاسدين الكواكبُ

وفي قصيدة أبي فراس المشهورة (أراك عصي الدمع) إشارات إلى أن الفتاة التي يشكوها ليست فتاة حبيبته وإنما هي مرآة لمشاعره تجاه السلطة السياسية، لأنها فتاة تروغ إلى الواشين، والدار التي ليست هي فيها قفر، ولأنه حارب أهله في هواها، ولأنه يصفها بأنها غدارة، والوفاء لها مذلة، ولأنها تنكره، وهذا الإنكار هو القتل عينه بالنسبة للشاعر، فهي تسأله من أنت، وهذا كله حديث سياسي عميق عما يلقاه من السلطة السياسية والوشاة من محاولات تهميشه وإبعاده عن أهدافه، ويؤيد ما نذهب إليه حديثه الطويل في القصيدة عن قوته في الحرب وأفعاله فيها، يقول:(الحمداني، ص ص 210)

وحاربت قومي في هواك وإنهم وإياي لولا حبك الماء والخمرُ
فإن كان ما قال الوشاة ولم يكن فقد يهدم الإيمان ما شيد الكفرُ
وفيت وفي بعض الوفاء مذلة لآنسة في الحي شيمتها الغدر
تسائلني من أنت وهي عليمة وهل بفتى مثلي على حاله نكرُ؟
فلا تنكريني يا بنة العم إنه ليعرف من أنكرته البدو والحضرُ
ولا تنكريني إنني غير مُنكرٍ إذا زلت الأقدامُ واستنزل النصرُ
وغني لجرار لكل كتيبة معوّدة أن لا يخل بها النصرُ
وإني لنزال بكل مخوفة كثير إلى نزال النظر الشزرُ

والمدح عند أبي فراس مقصود له ما وراءه، فهو كثيرا ما يحاول إقناع سيف الدولة بأنه قادر على السلطة، فها هو يحاول إقناعه بأنه قمين بالحكم لأنه تلميذه، فيقول:(الحمداني، ص 364)

وقد أصبحت منتسباً إليه وحسبي أن أكون هل غلاما
أراني كيف أكتسب المعالي وأعطاني على الدهر الذماما

وفي قصيدة يشكو فيها ما لقيه من قومه من نكران، وفاخر بنفسه تحدث أبو فراس الحمداني عن شعوره بالغربة، وهو بين أهله، وشعوره بالوحدة وحوله رجاله عصائب، وهذا يعكس حالته النفسية المضطربة نتيجة عدم تحقيقه لهدفه، أو ابتعاده عن طريق هدفه، فهو كلما تعرض له ما يبعده عن طريق الهدف انطوى على نفسه وغضب وشكا، وظل كذلك حتى يستعيد إرادته، فتقوى عزيمته من جديد، فقال:(الحمداني، ص 20)

أَراني وَقَومي فَرَّقَتنا مَذاهِبُ وَإِن جَمَعَتنا في الأُصولِ المَناسِبُ
فَأَقصاهُمُ أَقصاهُمُ مِن مَساءَتي وَأَقرَبُهُم مِمّا كَرِهتُ الأَقارِبُ
غَريبٌ وَأَهلي حَيثُ ماكانَ ناظِري وَحيدٌ وَحَولي مِن رِجالي عَصائِبُ
وأعظم أعداء الرجال ثقاتها وأهون من عاديته من تحاربُ
وشرُّ عدوَّيك الذي لا تحاربُ وخيرُ خليليك الذي لا تناسبُ

ولم يتخلّ أبو فراس عن روحه الوثابة الأبية الطموحة حتى وهو في الأسر، فها هو يصبر نفسه، ويسلي نفسه، ويشد من عزيمته وهو في سجن الروم حين سمع عن رفض سيف الدولة فداءه، فقال:(الحمداني، ص 22)

ولكنني والحمد لله حازم أعز إذا ذلت لهن رقابُ
ولا تملك الحسناء قلبي كله وإن شملتها رقة وشبابُ
وأجري ولا أعطي الهوى فضل مقودي واهفو ولا يخفى عليّ صوابُ
إذا الخل لم يهجرك إلا ملالة فليس له إلا الفراق عتابُ
إذا لم أجد من بلدة ما أريده فعندي لأخرى عزمة وركابُ
وليس فراقٌ ما استطعت فإن يكن فراق على حال فليس إيابُ
صَبورٌ وَلو لَم تَبقَ مِنّي بَقِيَّةٌ قَؤولٌ وَلَو أَنَّ السُيوفَ جَوابُ
وَقورٌ وَأَحداثُ الزَمانِ تَنوشُني وَلِلمَوتِ حَولي جيئَةٌ وَذَهابُ

ويقول فيها أيضاً:

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ومن اين للحر الكريم صحابُ
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذئاباً على اجسادهن ثيابُ
تغابيت عن قومي فظنوا غباوة بمفرق أغبانا حصى وترابُ
ولو عرفوني حق معرفتي بهم إذا علموا أني شهدت وغابوا

وما سجنه إلا عثرة زمانه ولا تنقص من علوه شيئا، ولا تنقص من عزيمته شيئا، يقول:(الحمداني، ص 80)

أقلني أقلني ! عثرة الدهر إنه رماني بسهم صائب النصل، مقصدِ

والصبر هو السلاحه الأقوى، فهو الذي يوصل إلى مطلب، يقول:(الحمداني، ص 51)

اصبر على ريب الزمان فإنه بالصبر تدرك كلُّ ما تتطلبُ

ويقول:(الحمداني، ص 197)

أنفق من الصبر الجميل فإنه لم يخشَ فقرا منفقٌ من صبره

وتكشف أبياته التي أرسلها إلى سيف الدولة عن حالة الاضطراب التي صنعها الأسر له، فقد أقلقه ما ورده من أخبار عن غضب سيف الدولة، وتعريضه له بالخمول، فأرسل هذه الأبيات ليؤكد أن الأسر لم يستطع أن النيل من عزيمته، ولا أن يحبطه أو يغير في أهدافه، وأن تهمة الخمول التي أزعجته وأغضبته هي تهمة باطلة، وجهد الشاعر في نفي تهمة الخمول وعدها انتقاصا من ذاته الطامحة فربط سبب أي نقص فيه بسيف الدولة، وهو لذلك يعدد الأسباب والصفات والمزايا والخصال التي رفعته مكانا عليا، وجعلت منه أهلا لهذه المكانة، يقول:(الحمداني، ص ص 26 ، 27)

أسيف الهدى وقريع العرب علام الجفاء وفيم الغضب؟

وما بال كتبك قد أصبحت تنكبني مع هذا النكب

وما غض مني هذا الإسار ولكن خلصت خلوص الذهب

ففيمَ يعرّضني بالخمول مولى به نلت أعلى الرتب؟

وكان عتيدا لدي الجواب ولكن لهيبته لم أجبْ

أتنكر أني شكوت الزمان وأني عتبتك فيمن عتب!

فهلا رجعت فأعتبتني وصيّرت لي ولقومي الغلب!

فلا تنسبن إليّ الخمول أقمت عليك فلم أغتربْ

وأصبحت منك ففضل يكون وإن كان نقص فأنت السبب

وأسكن ما كنت في ضجرتي وأحلم ما كنت عند الغضب

وإن خراسان إن أنكرت علاي فقد عرفتها حلب

ومن أين ينكرني الأبعدون أمن نقص جد أمن نقص أب؟!

ألست وإياك من أسرة وبيني وبينك قرب النسب !

ودار تناسب فيها الكرام وتربية ومحل أشِبْ!

ونفس تكبّر إلا عليك وترغب إلاك عمن رغبْ!

وأبو فراس الحمداني حين يعاتب سيف الدولة لا يذكر كثيرا الأسر، وإنما يذكر ما يؤلمه ويتعبه ويقف عقبة أمام طموحه، فهو يعاتب سيف الدولة إن جاءه منه ما ينتقص من قدرته على الوصول إلى أهدافه، لأن الانتقاص من قدرته هو انضمام معلن للقوى التي تضع العقبات أمام الشاعر في مسعاه نحو

الوصول إلى تلك الأهداف، يقول في وصف ما لاقاه في الشام من الإهمال:(الحمداني، ص ص 303، 304)

زماني كله غضب وعتبُ وأنت علي والأيام إلبُ
وعيش العالمين لديك سهلٌ وعيشي وحده بفناك صعبُ
وأنت- وأنت دافع كلِّ خطبٍ مع الخطب الملم عليّ خطبُ
فلا بالشام لذّ بفيّ شربٌ ولا في الأسر رق عليّ قلبُ
فلا تحمل على قلب جريحٍ به لحوادث الأيام ندبُ

وتتضخم ياء المتكلم كثيرا لتحمل كثيرا مما يحمله من اعتزاز بالذات والفخر بها، فقال:(الحمداني، ص 303)

أمثلي تقبل الأقوال فيه؟ ومثلك يستمر عليه كذبُ

ومن وسائل الدفاع التي يستخدمها الشاعر للدفاع عن نفسه والصمود في وجه الإحباط، وفخره بنسبه وبذاته، وكأنه في فخره يضع نفسه في موضعها الذي تطمح أن تكون فيه، يقول:(الحمداني، ص 28)

وفرعي فرعك الزاكي المعلّى وأصلي أصلك السامي وحسبُ
لإسماعيل بي وبنيه فخرٌ وفي إسحق بي وبنيه عجبُ
وأعمامي ربيعة وهي صيدٌ وأخوالي بلصفر وهي غلبُ

والحديث عن الذات يظل قويا لا ضعف فيه، ولا تردد، فهو يسير مع البحر المتقارب في هدير صاخب، واندفاع مؤثر، وصوت عالٍ يعكس مدى ثقة الشاعر بنفسه وبطموحه، وحق، يقول:(الحمداني، ص 48)

وفضلي تعجز الفضلاء عنه لأنك أصله والمجدُ تربُ
ظللت تبدِّل الأقوالَ بعدي ويبلغني اغتيابك ما يغبُّ
فقل ما شئت فيّ فلي لسانٌ مليءٌ بالثناء عليك رطبُ

ولا يفتأ الشاعر يكرر أن المصائب والعقبات لن تنال من قلبه، فقناته شديدة، وعوده قوي، وقلبه قوي، وهو صبور على ما يفعله به الزمان، يقول:(الحمداني، ص 248)

قناتي على ما تعلمان ، شديدة وعودي على ما تعلمان صليبُ
صبور على طيّ الزمان ونشره وغن ظهرت للدهر فيّ ندوبُ
وإنَّ فتى لم يكسر الأسرُ قلبه وخوض المنايا جدَّه لنجيبُ

ويبدو أن الوشاة نجحوا في تأليب سيف الدولة على أبي فراس، فعرض سيف الدولة به وقرعه، وهذا آلم أبا فراس في أسره فقد اجتمعت معيقات كثيرة عليه لتمنعه من تحقيق أهدافه، يقول:(الحمداني، ص 248)

لقد قنعوا بعدي من القطر بالندى ومن لم يجد إلا القنوع تقنّعا

تنكّر سيف الدولة لما عتبته وعرَّض بي تحت الكلام وقرَّعا

وحين تقف العقبات أمام الشاعر يصبر، ويبحث عن طرق أخرى للتعويض عما يعيقه، وهو دائما يغير بفسه، ويظل يذكر الوعود التي أعطيت له ولم يفِ أصحابها بما وعدوا في تلميح صريحا لوعود سيف الدولة، يقول:(الحمداني، ص 49)

فما للغواني إذ علا الشيبُ مفرقي يعللن قلبي بالأماني الكواذب
أراهن يبدين الصدود عن الفتى إذا ما بدا الشيب الذي في الذوائبِ
فمالي إلا البيض، والبيض، والقنا، وجردٌ كرام، مخصرات الجوانبِ
وما جزعت نفسي لإيراد مورد ولا لذياد عن لذيذ المشاربِ

وقد يلجأ أبو فراس إلى التلميح في طلبه ونقده للسلطة السياسية، فهو يلجأ إلى ذلك في بدايات قصائده وبخاصة الغزلية منها، فمحبوبته غالبا – كما أرى – هي الحاكم الذي جار عليه او ظلمه أو أخلف وعده، يقول:(الحمداني، ص ص 181، 182)

وأنت يا راكبا يزجي مطيته يستطرق الحي ، ليلا أو يباكره
إذا وصلت فعرّض بي وقل لهم : هل واعد الوعد ، يوم البين ذاكره؟
وراحل أوحش الدنيا برحلته وغن غدا معه قلبي يسايره
هل أنت مبلغه عني بأن له ودّا ، تمكن في قلبي يجاوره؟
وأنني من صفت منه سرائره وصح باطنه ، منه وظاهره
وما أخوك الذي يدنو به نسب لكن اخوك الذي تصفو ضمائره
وأنني واصل ما أنت واصله وأنني هاجر ما أنت هاجره

رابعاً: النفس الطموحة

ويلح أبو فراس الحمداني في طلب المعالي، وهو لا يفتأ يذكرها تلميحا وتصريحا في قصائده، ويذكر سعيه إليها، يقول:(الحمداني، ص 82)

قليلُ اعتذار، من يبيت ذنوبه طلاب المعالي، واكتساب المحامدِ

"ساير بنو حمدان السياسة المتقلبة، فداروا مع الخليفة او الوزير في الرضا والغضب، ووقفوا مع الأحزاب المتباينة، فربما كان الحمداني في جانب، وحمداني آخر في جانب آخر، فأصبح رؤوس الأسرة الحمدانية صورة للانقسام في الدولة،(الحمداني) يقول ابن خالويه إن أبا فراس كان: "يلقي إلي دون الناس شعره، ويحظر علي نشره".(الحمداني))

وحين يفتخر أبو فراس ببني حمدان فإنه يكثر من ذكر رفعتهم وسموهم، ومحلهم العالي الذي لا يبلغه، يقول:(الحمداني، ص 4)

فضلوا الناس رفعة وسموًا وعلوهم تكرّما ووفاء

أسرتي لا أقول فخرا، سراة حسبهم ذاك، مفخراً وسناءً

وهو في سعيه للحصول على السلطة والمكانة العالية يكرر أبو فراس الحمداني على مسمع سيف الدولة الحمداني أنه بفضله نال السنى والسناء، يقول في مطالبة خفية:(الحمداني، ص ص 5، 6)

أيا سيّداً عمّني جودُهُ، بفضلك نلتُ السنى والسناءَ

وكم أتيتكَ من ليلة! فنلتُ الغنى وسمعت الغناء

وطمعه في حكم الشام واضح في قوله: (الحمداني، ص 8)

ألشام لا بلد الجزيرة لذتي ويزيد لا ماء الفرات منائي

وأبيت مرتهن الفؤاد بمنبجٍ السوداء ، لا بالرقة البيضاء

ويكشف أبو فراس عن هدفه الأسمى، وعن طريقيه للوصول إليه: السيف والشعر أعلى أنواع الثقافة في ذلك العصر، فيقول:(الحمداني، ص 9)

فحم الغبي وقلت غير ملجلجٍ: إني لمشتاقٌ إلى العلياءِ

وصناعتي ضرب السيوف وإنني متعرض في الشعر والشعراءِ

ويعرف أبو فراس أهمية الشعر للساعي إلى المكانة العالية، وهو عنده وسيلة من وسائل السعي للهدف، لا للمديح ولا للهجاء ولا للمجون ولا للعب، يقول:(الحمداني، ص 10)

الشعرُ ديوان العرب أبداً وعنوان الأدب

لم أعدُ فيه مفاخري ومديح آبائي النُّجُب

ومقطعات ربما حلَّيت منهن الكتبْ

لا في المديح ولا الهجاء ولا المجون ولا اللعب

وقال في أسره يصف خبرته الحربية وصبره على الشدائد، وتجربته في الحياة، بعد أن أقام سنتين ونصفاً في بدنه نصل سهم، وشق عليه ست مرات حتى خرج. فهو يفاخر بأن الحرب عنده أمرها هين فهي طعامه، وهو مجرب ذاق مر الزمان وحلوه وسخا بعمره بغير حساب، وهذه صفات الساعي إلى الأهداف بغير حساب للعواقب، يقول:(الحمداني، ص 29)

ولا تصفن الحرب عندي فإنها طعامي مذ بعتُ الصبا وشرابي

وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زرق النصول إهابي

ولججت في حلو الزمان ومرّه وأنفقتُ من عمري بغير حسابِ

وقال يذكر قوما عجزوا رأيه في الثبات يوم أسره، وهو من سبيل الدفاع عن نفسه بعد أن وقع في الأسر، ولتأكيد جدارته بكل مكان عالٍ وعتاده إلى ذلك نفسه الأبية وقلبه المطيع لطموحه، يقول:(الحمداني، ص 31)

عتادي لدفع الهمِّ نفسٌ أبية وقلبٌ على ما شئتُ منه مصاحبُ

تكاثر لوامي على ما أصابني كأن لم تنب إلا بأسري النوائبُ
يقولون: لم ينظر عواقب أمره ومثلي من تجري عليه العواقبُ
ألم يعلم الذلّان أن بني الوغى كذاك، سليب بالرماح وسالبُ
أرى ملء عينيَّ الردى فأخوضه إذ الموت قدامي وخلفي المعايبُ
وإن وراء الحزم فيها ودونها مواقف تنسى دونهن التجاربُ
رجال يذيعون العيوب وعندنا أمور لهم مخزونة ومعايبُ
وأعلم قوماً لو تتعتعت دونها لأجهضني بالذمّ منهم عصائبُ

والحديث عن المعالي هدف أبي فراس الحمداني الأسمى لا توسط فيه، فهو مكان لا يليق إلا بموهوب فالمعالي مواهب ، وفي مدحه لسيف الدولة يرسم أبو فراس الحمداني صورة للقائد تتمحور حول صفات عليا تبدأ بالإمارة والملك والسيادة إلى القيادة والشجاعة والكرم والحلم وغيرها، وهي صفات يظل يفخر بامتلاكها، وأنه صاحبها، فقال:(الحمداني، ص ص 31، 32)

ويرجون إحراز العلا بنفوسهم ولم يعلموا أن المعالي مواهب
فكم يطفئون المجد والله موقد وكم ينقصون الفضل والله واهب
وهل يدفع الانسان ما هو واقع وهل يعلم الإنسان ما هو كاسب؟
وهل لقضاء الله في الخلق غالب وهل لقضاء الله في الخلق هارب
عليّ طلاب العز من مستقره ولا ذنب لي أن حاربتني المطالب
وهل يرتجى للأمر إلا رجاله ويأتي بصوب المزن إلا السحائب؟
وعندي صدق الضرب في كل معرك وليس عليّ إن نبونَ المضارب
إذا كان سيف الدولة الملك كافلي فلا الحزم مغلوب ولا الخصم غالب

وتظل أهدافه بين عينيه فيتجه إليها بعزيمة قوية وعزم لا يلين، يقول:(الحمداني، ص 179)

إذا ما العز أصبح في مكانٍ سموت له ، وإن بعد المزارُ
مقامي حيث لا أهوى قليل ونومي عند من أقلي غرارُ
أبت لي همتي وغرار سيفي وعزمي والمطية والقفارُ

وهو يظل يذكر الأهداف ويلح عليها:(الحمداني، ص 32)

عليّ طلاب العزّ من مستقره ولا ذنب لي إن حاربتني المطالبُ
وهل يرتجى للأمر إلا رجاله ويأتي بصوب المزن إلا السحائبُ؟!

وهو إنسان أبي شهم سيد حر يرفض كل ما يقدم له ، وكل ما يراه الآخرون جميلا، ويرى أن الإنسان الذي ينجرف وراء رغباته الصغيرة لا يمكن أن يعد من الأسياد، فقال:(الحمداني، ص 33)

فلا تلبس النعمى وغيرك ملبس ولا تقبل الدنيا وغيرك واهبُ

ولا أنا من كل المطاعم طاعمٌ ولا انا من كل المشارب شارب

ولا أنا راضٍ إن كثرن مكاسبي إذا لم تكن باعز تلك المكاسبُ

وهو ينفي عن نفسه الخضوع للرغائب:(الحمداني، ص 33)

ولا السيد القمقام عندي بسيد إذا استنزلته عن علاه الرغائبُ

ويقول:(الحمداني، ص 33)

وإني لمجزاع خلا أن عزمه تدافع عني حسرة وتغالبُ

ورقبة حساد صبرتُ لوقعها لها جانبٌ مني وللحرب جانبُ

وحين يصل أبو فراس على متعلقات الحكم والسيادة والسلطة يفاخر بذلك ويبتهج أيما ابتهاجا، فها هو يقول لسيف الدولة حين أنفذه في بعض السرايا وظفر وانتصر:(الحمداني، ص 44)

يا ضارب الجيش بي في وسط مفرقه لقد ضربت بنفس الصارم العضبِ

لا تحرُزُ الدرعُ عني نفس صاحبها ولا أجير ذمام البيض واليلبِ

ولا أعود برمحي غير منحطم ولا أروح بسيفي غير مختضبِ

حتى تقول لك الأعداء راغمة أضحى ابن عمك هذا فارس العرب

ويذكر ابنه عمه سيف الدولة بوعوده تلميحا لا تصريحا، يقول:(الحمداني، ص 46)

خالص الود صادق الوعد أنسي في حضوري محافظي في مغيبي

ويظل يذكر سيف الدولة بوعوده التي هي مرتبطة بأهدافه، يقول معرضا به:(الحمداني، ص 56)

وما هو إلا أن جرت بفراقنا يد الدهر حتى قيل : من هو حارثُ

يذكرنا بعد الفراق عهوده وتلك عهودٌ قد بلين رثائثُ

واحتفظ أبو فراس بحبه لنفسه وإيمانه بذاته وثقته بقدرته، يقول ورجله في الركاب والخادم يضبط السير عليها:(الحمداني، ص 47)

أبنيتي لا تجزعي كل الأنام إلى ذهاب

أبنيتي ، صبرا جميـ لا للجليل من المصابِ

قولي إذا ناديتني وعييت عن رد الجواب

زين الشباب أبو فراس لم يمتع بالشبابِ

وإيمان الشاعر بأنه صاحب المكان العالي والمكانة العالية لم يفتر، فهو من قوم كرام بهاليل أبطال كرام المناسبِ، ورجل مجرب صاحب نفس لا تكل من طلب المعالي معقودة بالكواكب، يقول:(الحمداني، ص 49)

وقد ألبستني كل حال لباسها وأحكمني طول السرى بالتجاربِ

ولو رضيت نفسي المقام لقصرّت ولكنها معقودة بالكواكبِ

ولكنَّ نفسي لا تحبُّ لي الرضا بغير الرِّضا من عاليات المناصبِ

والطريق الثاني إلى المعالي الذي يؤمن به أبو فراس هو الحرب، يقول:(الحمداني، ص 51)

أتعجب أن ملكنا الأرض قسراً وأن تمسي وسائدنا الرقابُ ؟
وتربطُ في مجالسنا المذاكي وتبرك بين أرجلنا الركابُ
فهذا العزُّ أثبته العوالي وهذا الملك مكنه الضرابُ
وأمثالُ القسيّ من المطايا يجبُّ غراسها خيلٌ عرابُ

وينفي العجز عن نفسه، وينكره، يقول:(الحمداني، ص 53)

فديتكَ، ما الغدرُ من شيمتي قديماً ، ولا العجزُ من مذهبي!

وتظل الأماني الكثيرة حاضرة أمامه لا يتخلى عنها ويسعى إليها في طريقها الصعب، يقول:(الحمداني، ص 56)

ألا ليت قومي والأماني كثيرة شهودي والأرواح غير لوابثِ
غداة تناديني الفوارس والقنا تردُّ إلى حد الظبا كلَّ ناكث:
أحارثُ إن لم تُصدرِ الرمحَ قانياً ولم تدفع الجلّى فلستَ بحارثِ

ويسعى أبو فراس الحمداني إلى المعالي تصريحا وتلميحا، فهو يراها مكانه المستحق، لأنه تلميذ سيف الدولة، يقول:(الحمداني، ص 72)

هل للفصاحة والسما حة والعلى عني محيدُ؟
إذ أنت سيديَ الذي ربيتني وأبي سعيدُ
في كلِّ يوم أستفيـ دُ من العلاء وأستزيدُ

ويبدو أن سيف الدولة قد تنبه على أطماع أبي فراس في الوصول إلى السلطة فحد من حركته وأكثر من لومه وعتابه وانتقاده، يقول:(الحمداني، ص ص 72، 73)

إني منعت من المسير إليكم ولو استطعت لكنتُ أول وارِدِ
أشكو، وهل أشكو جناية منعمٍ غيظ العدو به وكبت الحاسد؟
فرميت منك بغير ما أمّلته والمرء يشرق بالزلا الباردِ
لكن أتت دون السراة مساءة وصلت لها كفُّ القبول بساعدِ

ولم يتخل أبو فراس عن أهدافه وروحه الوثابة حتى وهو في الأسر، ففي أبيات بعثها إلى سيف الدولة يدعوه فيها إلى مفاداته، يقول:(الحمداني، ص ص 78، 79)

دعوتك والأبواب ترتج دوننا؛ فكن خير مدعو ؛ وأكرم منجدِ
فمثلك من يدعى لك عظيمة ومثلي من يفدى بكلِّ مسودِ
أناديك لا أني أخاف من الردى ولا أرتجي تأخير يومٍ إلى غدِ

ولكن انفتُ الموت في دار غربةٍ بأيدي النصارى الغلف ميتة أكمدِ

وهذه الروح الوثابة الواثقة ترفع صوتها عاليا على الرغم من الأسر والقيد فيقول:(الحمداني، ص 80)

فإن تفتدوني تفتدوا شرف العلا وأسرع عواد إليها معودِ

وإن تفتدوني تفتدوا لعلاكُمُ فتى غيرَ مردودِ اللسانِ أو اليدِ

يطاعن عن أعراضكم بلسانه ويضرب عنكم الحسام المهنَّدِ

وما كلِّ وقافٍ له مثل موقفي ولا كلُّورادٍ له مثل موردي

فما كلُّ من شاء المعالي ينالها ولا كل سيارٍ إلى المجد يهتدي

ويذكر سيف الدولة أنه معلمه ومدربه وقدوته، يقول:(الحمداني، ص 80))

وإنك للمولى الذي بك أقتدي وغنك للنجم الذي بك أهتدي

وانت الذي عرّفتني طرق العلا وانت الذي أهديتني كلّ مقصدِ

وأنت الذي بلّغتني كلَّ رتبة مشيت إليها فوق أعناق حسدي

ويقول مؤكدا ثباته على الدرب الصاعد:(الحمداني، ص 81)

فقلت : أما والله لا قال قائلٌ: شهدتُ له في الحربِ ألأمَ مشهدِ

ولكن سألقاها ، فإما منيةٌ هي الظنُّ ، او بنيان عزٍّ موطَّدِ

ويظهر تصميم أبي فراس الحمداني على الوصول إلى أهدافه في قوله:(الحمداني، ص 108)

أناضل عن أحساب قومي بفضله وأفخر حتى لا أرى من يفاخرُ

وأسعى لأمر عدتي لمناله أواخيُّ من آرائه واواصرُ

وحين غزا الشيب رأسه، وهو ابن عشرين فخر بنفسه، وعدّه دليل وقار يكون للشيوخ، يقول:(الحمداني، ص 205)

وما زادت على العشرين سني فما عذر المشيب إلى عذاري

وما استمتعت من داعي التصابي إلى أن جاني داعي الوقارِ

الخاتمة:

كشفت الدراسة أن استخدام المنهج النفسي في قراءة شعر أبي فراس الحمداني قد أفاد في فهم قصائده من زاوية أخرى بعيدة عن الشرح والتفسير التقليدي.

أفادت نظرية آدلر في فهم نفسية أبي فراس الحمداني، وفسرت سلوك أبي فراس الحمداني وفي فهم قصائده.

سار أبو فراس الحمداني إلى أهدافه بقوة وثبات سرًا وعلانية وتلميحا وتصريحا.

مضى أبو فراس الحمداني إلى أهدافه من خلال طريقين: طريق البطولة في الحروب والانتصار فيها، وطريق الشعر الذي يصف بلاءه في تلك المعارك وبطولته، ووصف ما يملكه من صفات البطولة التي تؤهله ليكون من أصحاب المعالي، وتأكيد امتلاكه لكل ما يلزم القيادة.

عد أبو فراس الحمداني كل ما يعيق تقدمه إلى أهدافه عدوا يجب مواجهته مهما كان ومن كان، فانتقد الحساد، وكره النقد الذي يمس فروسيته حتى لو كان من مولاه سيف الدولة.

وقفت عقبات كثيرة في وجه تقدم أبي فراس نحو أهدافه، منها: كثرة الحساد، والأسر، والمنافسون.

صبر أبو فراس على كل ما أصابه من أذى في سبيل الوصول إلى هدفه المعلن في الوصول إلى السلطة، وحظ على الصبر وبشر نفسه الطامحة بالفوز والوصول إلى المعالي.

خاطب الشاعر السلطة السياسية تلميحا وتصريحا، ومن ذلك الاختباء خلف مخاطبة الحبيبة للمطالبة بما وعدته، أو لانتقادها، أو لذكر أحقيته بالحكم والقيادة.

ظهرت عاطفة الشاعر واضحة في القصائد، وظهر تدفقها الصافي في الأوزان والبحور في موسيقى عذبة اصطبغت حينا بالحزن والشكوى وأحيانا بالقوة والثبات والإباء والصبر.

مراجع البحث:

1. ابن العديم، الصاحب كمال الدين أبو الصاحب عمر بن أحمد بن هبة الله، زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.
2. ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1955،/ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد(ت661هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج 2، دار صادر، بيروت، 1978.
3. آدلر، ألفريد، "الطبيعة البشرية"، ترجمة: عادل نجيب بشرى، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م).
4. إسماعيل، عز الدين– التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، ط4، 1988.
5. آل عجيم، محمد بن يحيى بن مفرح، صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس الحمداني، دراسة موضوعية وفنية، جامعة أم القرى، العام الدراسي 1429هـ،.
6. امرابي، محمد حسن، وجبانكير أميري، تداعيات إثبات الذات، والنرجسية في شخصية أبي فراس الحمداني، ورومياته، في ضوء نظرية كوهين" مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية عليمة محكمة، المجلد 12، العدد40، صص 23– 38 ، مارس، 1438هـ.
7. امين محسن الحسيني العاملي، أعيان الشيعة، مطبعة ابن زيدون، دمشق، 1935، ج4.
8. أندرسون، أنريكمناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر مكي، مكتبة الآداب، اللقاهرة، 1991.
9. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور، "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" تحقيق: مفيد محمد قميحة، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م)، ج 1.

10. خريستو نجمفي النقد الأدبي والتحليل النفسي فصول في تحليل الفكر والأدب والفن، دار الجليل، بيروت،1991، صص 205- 206.
11. خفاجي، محمد عبد المنعم، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية،1995.
12. ديتش، ديفيد، مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ترجمة محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1967.
13. ديفيد ديتش، مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق.
14. رينيه ويليك، وأوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي وحسام الخطيب، ط3، الشركة الشريفية للتوزيع والصحف، الدار البيضاء، 1985.
15. رينيه ويليك، وأوستن وارين، نظرية الأدب.
16. السمرة، محمود ، النقد الأدبي والإبداع في الشعر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيوت، 1997، صص 79-80.
17. السمرة، محمود، النقد الأدبي والإبداع في الشعر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1997.
18. شلتاغ عبود شراد – مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، مجدلاوي، 1988.
19. ضيف ، شوقي، عصر الدول والإمارات " الشام"، دار المعارف ، ط٢، بدون تاريخ ، القاهرة، ص٢٢٣.
20. عتيق، عبد العزيز– في النقد الأدبي، ط2، دار النهضة ،1972.
21. فرويد، سيجموند، الهذيان والأحلام في الفن، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1986.
22. فرويد، سيجموند، تفسير الأحلام، ترجمة مصطفى صفوان ومصطفى زيور، دار المعارف.
23. فضل، صلاح، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1997.
24. قطب، سيدالنقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط6، 1990.
25. كارلوني وفيللو – النقد الأدبي، ترجمة كيتي سالم، وجورج سالم، منشورات عويدات، بيروت.
26. مارسيل ماريني – النقد التحليلي النفسي، فصل من كتاب مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، المجلس العلى للفنون، الكويت، 1977.
27. هايمن، ستانلي، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة إحسان عباس، ومحمود نجم، دار الثقافة بيروت، 1958.
28. هايمن، ستانلي، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة إحسان عباس، ومحمود نجم، دار الثقافة بيروت ،1958.
29. ويلبر .سكوت – خمسة مداخل للنقد الأدبي، ترجمة عناد غزون إسماعيل وجعفر صادق الخليلي، وزارة الثقافة، بغداد.
30. Alfred Adler, "Mathematics and reativity," The New Yorker, 1972, reprinted in Timothy Ferris, ed., The World Treasury of Physics, Astronomy, and Mathematics, Back Bay Books, reprint, June 30, 1993, p, 435.
31. Hoffman, E (1994). The Drive for Self: Alfred Adler and the Founding of Individual Psychology. Reading, MA: Addison-Wesley . pp. 41–91.